



د. عمر ظاهر

التجسس ونهاية الديمقراطية!

فالجهاز الذي يستخدمه في مراقبة التلفزيونات لا يسجل فقط ما قد يكون له علاقة بالإرهاب، وإنما كل شيء قد يتكلمه المعينون فيه عبر تلفزيوناتهم. إن المراقبة من هذا النمط تعني ببساطة وضع خارطة لحياة ووجود وعلاقات الأشخاص، وتشكل انتهاكا لحرمة خصوصياتهم دون وجه حق. ثم إنه ليس هناك

ما يضمن لهؤلاء المواطنين أن هذه المعلومات، التي تجمع عنهم الآن بحجة مكافحة الإرهاب، لن تستخدم لأغراض أخرى إذا وقعت في اليد الخطأ. إن إندثار الديمقراطية إلى هذا المستوى في إبتزاز شعوبها بالتخويف، وعلى حساب جزء من مجتمعاتها، نذير شؤم خطير، فربما لن يمضي وقت طويل حتى نرى أن الأنظمة الديمقراطية قد وهنت بفعل هذا الإندثار وولدت أنظمة قمعية، وأن نرى نشوء حركات عنصرية أخطر بكثير من تلك التي نعرفها الآن. هنا في الدنمارك رأينا على مدى ربع القرن الماضي كيف أن اليمين المتطرف تطور من حزب لم يكن يستطيع أن يوصل أكثر من مندوب واحد إلى البرلمان في أواسط الثمانينات من القرن الماضي إلى ثاني أكبر حزب في البلد ويتحكم بسياسة البلد تجاه الأجانب، وخاصة المسلمين. إن الاستمرار في تخويف الشعب الدنماركي من المسلمين قد يؤدي في يوم ليس بالبعيد إلى جعل حزب بيا كيرسكو ليس أكبر حزب في البلد وحسب، بل وإلى جعل أيديولوجيته هي السائدة. وعندئذ تكون لبنوك المعلومات التي تتكدس عن المسلمين أهمية خطيرة؛ إنها ستكون أداة رهيبية في التعامل معهم.

الدول لا تعتبر المسلمين جزءاً من مجتمعاتها رغم أنهم أصبحوا مواطنين فيها. إنه عزل عنصري ويشكل سابقة خطيرة في تاريخ الديمقراطيات الغربية. ثالثاً إن التحوط ضد الأعمال الإرهابية أمر مشروع، بل ومطلوب، ويجب أن ينال الدعم المطلق من كل شرائح المجتمع. لكنه أمر خطير أن تختار الديمقراطيات وسيلة كهذه في مكافحة الإرهاب تتناقض مع القيم الديمقراطية، بل هي نفسها وسيلة إرهابية، في الوقت الذي يمكن حتى للأعمى أن يتلمس في مسألة مكافحة الإرهاب طريقاً أفضل ووسائل أكثر عقلانية وأخلاقية من إثارة الشكوك حول فنة دينية بشكل مطلق. رابعاً إن الخطورة لا تكمن في التجسس وحده، بل في محاولة تبريره أيضاً. إن الإعلان بين الحين والآخر عن الكشف عن مخطط إرهابي هنا وهناك وإجهاضه يستخدم على ما يبدو كمبرر لهذه المشاريع التجسسية وكدليل على أنها تؤدي أكلها، فيفضلها تحبط المخابرات المحاولات الإرهابية قبل وقوعها. لا أحد يمكنه الجزم بصحة هذه الإدعاءات. لقد أثرت هنا في الدنمارك، مثلاً، عام 2008 ضجة إعلامية كبيرة عن إحباط عمل إرهابي يستهدف هذا النكرة صاحب الرسوم السفيهية، ثم تبين فيما بعد أن القضية لم تستند على أساس حقيقي، فاطلق سراح المتهمين، لكن طبعاً بعد أن أدى التخويف مفعوله، وصار للتضييق على المسلمين ما يبرره في نظر الناس العاديين. إن قضية الرسوم التافهة أصبحت تعامل كقميص عثمان تثيرها أطراف معينة عند الحاجة، فلا غرابة أن يجري الإعلان في شيكاغو عن إحباط محاولة إرهابية ضد الدنمارك مباشرة بعد إفتتاح أمر المشروع التجسسي البريطاني المشين! إنه إبتزاز للشعوب الأوروبية نفسها، ومحاولة لفرض الصمت عليها وتقبل مصادرة الحريات والحقوق. وهذا أمر يحتاجه الرأسماليون بشكل خاص وبصورة متزايدة مع الحروب العدوانية التي يشنونها ضد الشعوب الضعيفة.

خامساً إنه لنذير شؤم كبير للمسلمين في بلدان أوروبا الغربية أن يعاملوا بهذه الطريقة، ويكون هناك لكل منهم سجل لدى المخابرات يحوي كل تفاصيل حياته وعلاقاته. إن المعلومات التي تجمع عنهم ليس لها بالضرورة علاقة بالإرهاب،

تم الكشف في بريطانيا قبل فترة قصيرة عن قيام المخابرات البريطانية في السنوات القليلة الماضية بتنفيذ أكبر مشروع تجسسي في التاريخ. وهذا المشروع، ويا للمفارقة، لا علاقة له بأي دولة عظمى معادية أو منافسة، لا روسيا ولا الصين. إنه مشروع للتجسس على المسلمين في بريطانيا. ويبدو أنه لم يستثن أي مسلم، بل شمل كل من ينحدر من أصول إسلامية، بل وحتى البريطانيين الأصليين الذي اختاروا دخول الإسلام، والبريطانيات المتزوجات من مسلمين. كما أنه لم يترك أية صغيرة أو كبيرة في الحياة اليومية للمسلمين إلا وتجسس عليها (ولا يزال يفعل ذلك): مكالماتهم التلفزيونية، ورسائلهم القصيرة إس إم إس والالكترونية، ومواقع الإنترنت التي يزورونها، وعلاقاتهم الشخصية، وسفراتهم، وذهابهم إلى المسجد، والكتب التي يستعبرونها من المكتبات، إلخ. باختصار شديد فإن كل مسلم في بريطانيا أصبحت له الآن صفحة بالأحرى كتاب موثق بالصوت والصورة والأرقام لدى المخابرات تحوي معلومات عنه من الألف إلى الياء.

إفتتاح أمر المشروع أثار لدى الكثيرين في العالم قلقاً، بل واستياءً وغضباً، لأنه ينطوي على أمور عديدة لها علاقة بحياة الأفراد والجماعات في المجتمعات الأوروبية، ونورد باختصار بعضاً من أسباب الغضب والإستياء: أولاً إن ما تقوم به بريطانيا لا يمكن أن يكون سلوكاً فردياً خاصاً بها، وإنما هو على الأغلب، أو بالتأكيد، سياسة عامة لمجموعة من الدول، مثلاً دول الإتحاد الأوروبي، أو دول أوروبا الغربية، أو دول حلف الناتو، أي أن كل دولة ضمن هذه المجموع لها نسختها من هذا المشروع التجسسي، وبالتالي فإن المسلمين في أي من هذه الدول عرضة لمثل هذه الممارسة.

ثانياً إن هذا السلوك التجسسي وعلى هذا المستوى نذير شؤم على مستويات عديدة، لأنه لا يجري ضد أفراد أو عصابات إجرامية، بل ضد مجموعة دينية بأكملها. إنه إجراء سياسي واجتماعي خطير حين توضع فنة دينية أو عرقية بأكملها في بلد ما في دائرة الشك. إنه رسم لحدود قاطعة بين من يشكل، في نظر الدولة، خطراً على المجتمع وبين من لا يشكل. إنه يدل بكل وضوح على أن هذه

الجالية المصرية قصة وتاريخ

أحمد حربي

غاب العراق ودوره عن الساحة .. وجاءت أزمة الرسومات الشهيرة ونشط بعض أبناء الجالية وقاموا بدور فعال تجاه نصرته الرسول صلى الله عليه وسلم وكان للسفيرة المصرية منى عمر والسفارة المصرية دوراً مهماً ورئيسياً كما كان للمؤسسات الرسمية المصرية السياسية والدينية على أرض مصر نفس الدور في نصرته الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم تجلّى في الدور الذي قام به الوفد الذي سافر حينها إلى القاهرة وحقق ما حقق ..

إستمر النادي المصري بالعطاء ولكن بوتيرة أقل وقتور في حماسة القائمين عليه وكان لذلك أسباب منها :

أولاً - وهو أهمها - هو خيبة الأمل لما أصاب الأمة من تمزق وتشردم وإندثار روح المقاومة والإستسلام لواقع فرض عليها الذلة والمهانة وتقاطع مصالح بعض القوى العربية والإسلامية مع المحتلين الجدد بل حتى مع الصهيونية ثانياً : إنتشار الصحف العربية والإنترنت كذلك القنوات الفضائية العربية بما يوفر الأجواء العربية التي كانت مفتقدة من قبل

ثالثاً : بلوغ غالبية الجيل الأول سن التقاعد وعودة البعض منهم لوطنهم الأم وإحلال الجيل الثاني تدريجياً لكن بإنتهاء أقل وتوجهات مغايرة في أحيان كثيرة حيث أثر الاندماج في درجة من درجات الذوبان الطبيعي وإحلال الثقافة الدنماركية تدريجياً محل العربية لكن طبعاً بدرجات متفاوتة من شخص لآخر لكنها ساهمت في تشكيل شخصيات أقل إرتباطاً بوطن الوالدين رابعاً : إنتشار المؤسسات الإسلامية التي إستوعبت البعض ممن إزدادت حاجاتهم الروحية والفكرية في موجة عالمية لتنامي التوجهات والتجمعات الدينية امام موجة الحرب الشرسة التي قادتها الولايات المتحدة وحلفاؤها باسم الحرب على ما أسمته الإرهاب بعد أحداث سبتمبر الشهيرة لكن كان العرب والإسلام والمسلمين هم المستهدف الأول والحقيقي لهذه الحملة ..

خامساً : مع تنامي التوجهات الدينية والحاجات الروحية تجمع المسيحيون أيضاً في ناد خاص بهم في كنيس هنا بكوبنهاجن لكن يجدر الإشارة هنا إلى أن روح المودة التي سادت دائماً بين مكوثي الجالية من مسلمين ومسيحيين مازالت قائمة حتى الآن

أدى ماسبق من أسباب إلى ضعف عوامل الترابط مما أبطأ المسيرة حتى توقف النادي عن العمل وأغلق من أربع سنوات تقريبا .. وهناك بعض الافكار لإحياء فكرة النادي من جديد .. لكن في ظروف مختلفة وواقع مغاير .. فالتحديات دائمة موجودة والطموح مستمر .. لكن مشاغل الحياة تزداد والوتيرة تتسارع .. لكن في النهاية تبقى الحاجة دائماً موجودة بل وملحة في أحيان كثيرة

المصري آنذاك مفتوحاً لكل الإخوة العرب وضيوفهم بل كان مثار فخر وإعتزاز لكل واحد منهم .. وكانت الإحتفالات باليوم الوطني المصري تتم رسمياً في السفارة المصرية - بمشاركة السفير الإسرائيلي - بينما تتم شعبياً في النادي المصري حيث كان يمتلىء بالإخوة العرب وكان الحضور الفلسطيني هو الأبرز رسمياً وشعبياً إلى جانب التمثيل العربي من كافة الاقطار التي لها جالية على أرض الدنمارك .. وكان التعبير عن ذلك التوجه يتم بالشكل الديمقراطي الذي ينسجم مع القوانين واللوائح الدنماركية ومع أجواء حرية التعبير التي كنا ننعمر بقسط وافر منها في ذلك الوقت والذي كان أبرزه التظاهر والكتابة في نشرات النادي كتعبير عن الروح الحقيقية لأبناء الجالية والذي كان يختلف في مرات كثيرة عن التوجه الرسمي .. وأذكر مثلاً أنه ذهب ثلاثة من أعضاء الهيئة الإدارية للنادي آنذاك للسفير المصري يطلبون منه عدم المشاركة في إحتفالٍ دعيٍ إليه في السفارة الإسرائيلية لما يسمى بيوم قيامها الذي كنا نرى فيه إحتفالاً بإغتصاب جزء عزيز وغال على كل عربي ومسلم من هذه الأمة .. وتم حوار صحو وواع بين السفير وممثلي النادي المصري وبرغم إختلاف الروايات فقد أدى ذلك لعدم مشاركة السفير بل وأخبرنا في مقر النادي أنه شرح ذلك لزملائه السفراء المصريين في الدول الإسكندنافية مما جعلهم ينحون نفس المنحى بعدم المشاركة ..

إستمر النادي المصري أو رابطة المصريين في ذلك التوجه وقطع شوطاً طويلاً في خدمة أبناء الجالية وعبر في معظم المناسبات عن توجهات ورغبات أبناء الجالية ونضج ووضحت رؤيته ثم بدأت بعض الافكار تتفاعل في محاولة لم شمل الجاليات العربية وبالفعل نشأت فكرة الإتحاد العربي والتقى ممثلوا جاليات عربية عديدة في التجهيز والإعداد لتنفيذ الفكرة في إجتماعات تأسيسية إستمرت وقتاً طويلاً وكان ذلك في مقر النادي المصري وكان ضيف الشرف الدائم معنا الأستاذ حسين عبد الناصر وكان مديراً لمصر للطيران آنذاك واستمر العمل في التجهيز والإعداد للأنحة داخلية ودستور وهيكلاً وفجأة قامت حرب الخليج الأولى فتوقف المشروع مؤقتاً وتشكلت اللجنة العربية لإيقاف حرب الخليج من ممثلين لبعض الجاليات العربية وقامت بأنشطة عديدة وتلاحقت الأحداث وإستمرت الأنشطة حتى كانت أحداث سبتمبر وغزو أفغانستان والعريضة الأمريكية باسم الحرب على الإرهاب وحرب الخليج الثانية التي أصابت الجميع بخيبة أمل كبيرة وضربة في صميم المشاعر بإحتلال العراق بوابة العرب الشرقية وقطر شقيق وعزيز على قلب كل عربي لم يتخل يوماً عن القيام بواجباته تجاه أمته وعرويته بغض النظر عن الوضع الداخلي للنظام لكن وضع تماماً تبرص قوى كبيرة وكثيرة دولية وإقليمية لكسر هذه القوة العربية الفاعلة وتقييدها ودورها عن الساحة ونجحوا بالفعل نتيجة عوامل عديدة لا مجال لسردها هنا الآن فتوقف مشروع الإتحاد تماماً وغابت الفكرة كما

تعتبر الجالية المصرية من الجاليات العربية والإسلامية الناشطة والواعية على قلة عددها الذي يتراوح بين أربعة إلى خمسة آلاف - على أحسن تقدير - وحدائثه تواجهها على الساحة الدنماركية وهناك عدد من الأطباء والمهندسين ورجال الأعمال وغيرهم ممن يعملون على الساحة ... وقد بدأت فكرة تأسيس تجمع رسمي

يعبر عنها ويبلور أنشطتها في نهاية السبعينيات حيث كانت السفارة المصرية لدى الدنمارك هي الوزيرة عانشة راتب حينها تشكل النادي المصري للمرة الأولى وإن كانت إرهاباً عمل يجمع أبناء الجالية قد سبق ذلك التاريخ بقليل .. حين تشكل النادي المصري وواجهته عدة عقبات لكن دافع التجمع والتنظيم كان أقوى وأهم .. حينها لم تكن هناك قنوات تليفزيونية عربية ولا صحف عربية وكانت الإحتياجات اليومية مما تعودت عليه الأسر العربية من مأكولات وغيرها غير متوفرة بالشكل الذي نراه اليوم ومع بدايات ظهور الجيل الثاني من أبناء المصريين وحاجاتهم للحفاظ على هويتهم من تعليم وتنشيط كانت تلك الخطوة شبه ضرورية على الأقل من وجهة نظر الآباء والأمهات بمسئولهم ومسيحيهم فتضافرت الجهود وتشكل النادي المصري وبدأت الأنشطة المختلفة لكن كان أبرزها النشاط الإجتماعي من تجمع للأسر وممارسة الطقوس الإجتماعية من زواج وأعياد وإقامة سرادقات عزاء وغيرها .. غير أن النخبة التي تصدت لقيادة الجالية كانت واعية بأمور أخرى إستراتيجية وهامة تتعلق بهويتها العربية والدينية فعلى الصعيد العربي عملت على تعميق وتأسيس الإلتزام خاصة وكانت تلك الفترة بدايات التطبيع الرسمي للدولة مع العدو الصهيوني ولم تغب يوماً عن الذكرة أيام الحروب والضحايا وتدمير المصانع والمنازل والقرى والمدن ومدارس الأطفال وتهجير المواطنين من مدن القناة فكان للجالية موقفاً مغايراً للرؤية الرسمية في قضية التطبيع التي شعرت وقتها - ومازالت - أنها لا تعبر عن حقيقتها وإنتامها العربي الاصيل فأنفتحت على كل الجاليات العربية الأخرى في تنسيق لكل نشاط يساهم في مقاومة ذلك التطبيع ويعمق الشعور العربي الواحد والمشارك وكان التنسيق الأقوى والأوضح مع الجالية الفلسطينية حيث قضيتنا المركزية .. فكانت المساهمة الفعالة والرسمية في إنشاء مكتب منظمة التحرير الفلسطينية كرمز للتمسك بالهوية العربية والإسلامية وكان النادي

